المحاضرة الخامسة: القديس أوغسطين (354 430)

تمهيد:

منذ العهود القديمة والغابرة عرفت بلاد الجزائر العديد من الحواضر العلمية والثقافية كان لها الأثر الكبير في تثقيف العقل البشري، واشباع الساحة الفكرية العالمية والمحلية بالفكر وما يتبعه من لواحق إبداعية تساهم في تقدم الشعوب وتطور الحضارات، هذا التاريخ الذي اصبح النشيء الجزائري لا يعرفه عنه سوى القليل قد غيب لاسباب متعددة وكثيرة ليس المقام لتحليلها والبحث فيها في هذه المداخلة، لكن لا يجب اغفال واهمال قيمة ومنجزات هذا التاريخ الثقافي الكبير الذي تزخر به البلاد، لهذا فان البحث والتنقيب عن اعلام الفكر الجزائري على امتداد مختلف خقبه يعد ضرورة مهمة في سبيل بعثه من جديد، بخيث ان الجزائر عرفت وعبر امتداد تاريخها الطويل الكثير من العلماء والمفكرين الذين اثروا الثرات العالمي بالكثير من المؤلفات والمخطوطات، ولعل من ابرز هؤلاء نجد القديس اوغسطين الذي اسهم بالكثير في تاريخ الحضارة الإنسانية جميعا.

فمن هو اوغسطين؟

1 التعريف بشخصية سان اوغسطين:

هو كاتب وفيلسوف من اصل نوميدي لاتيني، ولد في طاغاست التي تعرف حاليا بسوق اهراس شرق الجزائر، ولد يوم 13 نوفمبر سنة 354م من ام بربرية مسيحية، واب ورثني روماني، وتوفي يوم 28 اوت من عام 430م، ويعد اوغسطين أبرز رواد الفكر اللاهوتي المسيحي الأمازيغيي في أذهان المغاربة باعتباره من أكبر المثقفين في التاريخ القديم إلى جانب الملك المغربي(يوبا الثاني)،كما يعد من ، صاحب نظريات فلسفية ودينية مازالت تدرس إلى يومنا هذا حيث عرف عنه ولعه بالمعرفة وحب الاطلاع والبحث عن الحقيقة بحيث نهل من مختلف ثقافات عصره.

عرف عنه دفاعه الشديد عن هويته الأمازيغية واعتزازه بها ، مارس مهنة التعليم، فكان يلقي دروسا في البلاغة في مدينة قرطاجة التي أسس بها معهدا لتدريس الخطابة، وقد انتقل بهدا المعهد بعد دلك من قرطاجة الى روما ثم ميلانو،وخلال هذه الفترة من تواجده بروما بدات

نفسه تتوق الى التخلص من الشرور والفساد لتتجه الى حياة الفضيلة والايمان، ثم انتقل الى مدينة عنابة اين اقام ديرا للرهبنة،والتي عين اسقفا فيها ثم صار بعد دلك أبا للكنيسة اللاتينية. تبنى الكاثوليكية المسيحية متأثرا بأمه القديسة مونيكا، وكذلك بأسقف ميلانو القديس أومبرواز Ambroise وقد دافع القديس أوغسطين بقوة عن المسيحية الكاثوليكية الرسمية التابعة للكنيسة الرومانية.

2**مؤلفاته**:

كتب القديس اوغسطين الكثير من المؤلفات التي غالبا ما كانت تعبر عن قناعاته الفلسفية المختلفة، ومن اهم هذه المؤلفات نذكر:

"ضد الاكادميين"، كتاب **" الدين الحقيقي"، كتاب "التثليث"، "الرد على الاكاديمية"** وهو مؤلف كتبه بعد الاطلاع على كتب افلاطون، ومن اشهر مؤلفاته على الصعيد الفلسفي نجد كتاب **"الاعترافات"** الذي كتبه عام 400م وفيه قدم سيرته الذاتية بكل صدق وصراحة، متحدثا فيه عن حياته الغريبة التي امتلأت بكل شيء، وهو الكتاب الذي فسر فيه اتباعه للشهوات من خاصة خلال فترة تواجده بقرطاجة موضحا في هذا الكتاب كيف تعرف الى الله وكيف انتقل الى الفكر المسيحي، وفي نفس الكتاب وضح لنا اوغسطين في هذا الكتاب تصوره وموقه من ذلك الصراع العقائدي والاجتماعي والتاريخي الامازيغي الروماني.

إضافة الى كتاب اخر له أهمية كبيرة في حياة اوغسطين وكذا في من يرغب بالتعرف على فلسفته ومختلف أفكاره وهو كتاب كتاب **"مدينة الله"**، وهذا الكتاب الأخير بالذات هو الكتاب الذي يتضمن فكره السياسي وفلسفته في التاريخ القائمتين على المزج بين الحقيقة الدينية والفلسفية، ويتألف هذا الكتاب من 22 بابا، حيث يدور الكتاب حول مسالتين :

الأولى: تتصل بتحدي الوثنية للمسيحية بسبب ازدراء ونقد القيم الروحية وهي المسالة التي وضح اوغسطين غرور وظلم الوثنيين للمسيحية، وأوضح عقمها وتناقضها الذاتي واستغراقها في الماديات بدل الروحانيات.

والثانية: تتعلق برسم صورة لملكوت الرب، وهي التي اطلق عليها مدينة الرب او مدينة الله، وهذا هو الجانب الإيجابي من هذا الكتاب وفيه عني اوغسطين بالبحث في أساليب الحياة. فنجده

يجعل مدينته مدينة سماوية ترفض الانصياغ لاوامر الانسان الأرضي، وفي هذه المدينة لا وجود لأي تخاصم او صراع وانما نجد الميع يعيشون عيشة متساوية ومتناغمة.

ومن خصائص هذه المدينة نذكر أيضا:

ـ لا تعدد للالهة فيها

ـمدينة يعمها السلام والأمان الدائمين.

ـ هي مدينة تحافظ على مصالح الجميع.

ـ هي مدينة معارضة لجميع المدن، وتقوم على المحبة والسلام.

ـ تتميز علاقة الافراد داخلها بالتناغم والانسجام والسلام.

3 أوغسطين مفهوم الدولة وشكل الحكم:

لم يصنف اوغسطين الأنظمة كما فعل الفلاسفة السابقون امثال أرسطو وأفلاطون، ولم يكن غرضه البحث عن نظام مثالي، بل كان يرى ان شكل الحكم هو أمر دنيوي يتعلق بطبيعة الشعب الذي سيحكم وكذلك بظروفه التاريخية، فليس هناك نظام ثابت، ولهذا لم يحدد نوع الحكم إمبراطوريا كان، أو ملكيا، أو جمهوريا ...وعليه فقد كان يرى الدولة في تحقيق مدينة الله ، لكن التناقض. الذي يقع فيه هو ان هذه المدينة يصعب تحققها في العالم الدنيوي، وهي بالقطع لن تكون الا في العالم الاخر. إلا أنه أقر بحق الشعوب في الثورة السلمية على الحاكم إذا دعاهم لمعصية الله أو التعاليم المسيحية.

أما بخصوص العلاقة بين الدولة والكنيسة فقد طالب اوغسطين بضرورة التمييز بين سلطة الكنيسة الروحية وسلطتها الروحية، مع ضرورة مراعاة استقلال كل سلطة عن الأخرى من جهة، وتعاونهما من جهة أخرى، رغم اننا نجده يمنح التفوق للسلطة الروحية، إلا ان تعاونهما يعد مسالة هامة وهو الذي يمكن من تحقيق مصالح الدولة بكل مكوناتها، ونجده قد منح التفوق للسلطة الروحية لأنها في نظره هي التي تقوم بتعليم الفرد مختلف الواجبات وتمنحه مختلف الحقوق، وفي المقابل تقوم الدولة بالسهر على تنمية درجة عبادة الله، وفي نفس الوقت تعاقب من يخالف تعاليم السلطة الروحية.

وبخصوص الفكر السياسي عند اوغسطين فاننا نجده يؤسس لفلسفة السلم ورفض فلسفة الحرب، وهذا ما يوضحه في كتاب مدينة الله، مؤكدا على انه لا علاقة بين الحرب والسياسة، وان السياسة يمكن ان تنشا دون اللجوء الى الحرب.

خاتمة:

إن سان اوغسطين يعتبر احد ابرز اعلام الفكر الفلسفي الجزائري حتى وان كان هذا الراي قد اعترض عليه البعض.